مجلة الاستيعاب
Issn : 2661-7625 Eissn :
المجلد: الخامس العدد: الأول ص 204ـ219

مصطلح " الدعوة " بين القرآن الكريم والواقع

- دراسة مصطلحية -

The term “calling” between the Holy Qur’an and reality
- a terminological study -

لعوطي محمد الأمين

كلية العلوم الإسلامية . الجزائر 01 .

m.laouti@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/13 تاريخ القبول: 2022/09/17 تاريخ النشر: 2023/01/27

ملخص:

إن المصطلح بصفة عامة له آثار كبيرة في واقع الناس، ومن أبرز هذه الآثار ما يعكس نظرة الناس لبعضهم البعض، وهو ما يترتب عليه إصدار سلوكيات معينة إيجابية كانت أو سلبية، بحسب دلالة هذه المصطلحات وتحديد مفاهيمها عند المروجين لها، ويعتبر مصطلح الدعوة من المصطلحات الرائجة في الوسط الإسلامي في العصر الحديث، ولا شك أنه من حيث الأصل، فهو مصطلح قرآني، نطقت به الكثير من الآيات القرآنية، وبمختلف اشتقاقاته، ولكنني لاحظت أن الاستعمال المتداول لهذا المصطلح لدى كثير من المتصدرين للعلم والفكر والانتماءات الحزبية والطائفية، لا يعكس حقيقة المنهج القرآني في تناوله له.

كلمات مفتاحية: مصطلح. مصطلحية. دراسة. الدعوة. القرآن. الواقع. بين.

تصنيفات JEL : ....، ....،

Abstract:

The term in general has great effects on the reality of people, and among the most prominent of these effects is what reflects people’s view of each other, which results in the issuance of certain behaviors, whether positive or negative, according to the significance of these terms and the definition of their concepts for its promoters. In the Islamic community in

the modern era, there is no doubt that in terms of its origin, it is a Qur'anic term, uttered by many Qur'anic verses, and with its various derivations. in eating him.

Keywords: term. terminology. study. the invitation. The Quran. Indeed. between..

JEL Classification Codes: …, …, …

[1] **المؤلف المرسل**: الاسم الكامل، الإيميل

1. مقـــــدمة

إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، ورسالته الخالدة للبشرية، أنزله الله تعالى ليكون منهجا تسير عليه الأمم، ولا شك أن هذه الغاية العظمى تتوقف على الفهم الصحيح للمصطلحات التي يستعملها القرآن الكريم، وهذا متوقف بدوره على مدى مصداقية الدراسة التي يخضع لها هذا المصطلح القرآني، لذلك نجد في واقعنا أن كثيرا من المشاكل التي تحدُث في الأمة وعلى جميع الأصعدة، ترجع في أصلها إلى الإخفاق في تحديد المعنى الصحيح للمصطلح القرآني.

وهذا ما حملني على الاهتمام في هذه الدراسة، بمصطلح مهم يستعمله الكثير من المتصدرين للوعظ والإرشاد في عصرنا الحاضر، ألا وهو مصطلح (الدعوة)، فحتى وإن كان مصطلحا إسلاميا وقرآنيا أصيلا، إلا أنني أعتبره دخيلا على الأمة من حيث الاستعمال، لأنه بعد ظهور بعض الحركات الإسلامية، انتشر هذا المصطلح بشكل لا يتوافق مع السياقات القرآنية، مما أدى بالكثير من هذه الحركات، إلى الانسياق خلف تبعات هذا الاستعمال الخاطئ.

لأجل تصحيح هذا المسار، أجريت دراسة مصطلحية حول مصطلح (الدعوة) في القرآن الكريم، حتى يتسنى لي الإجابة على الإشكالات الآتية:

ما هي المواضع القرآنية التي ورد فيها ذكر هذا المصطلح ؟ وما هي المعاني التي دل عليها ؟ من هي الفئة التي سيق هذا المصطلح في حقها ؟ وهل لعدم الالتزام بذلك الاستعمال القرآني في حق من ورد فيهم هذا المصطلح آثار واقعية ؟

ولتحقيق ذلك اتبعت المنهج الاستقرائي الموضوعي التحليلي، حيث قمت باستقراء الآيات التي ورد فيها مصطلح الدعوة بجميع صيغه مشتقاته، ثم تصنيف الآيات حسب اشتراكها في الموضوع، ثم

دراسة ما تعلق منها بالقصد من هذا البحث دراسة تحليلية متأنية، لاستنباط دلالاتها من خلال السياقات التي ردت فيها.

ومن الذين لهم فضل السبق في دراسة هذا المصطلح وفق المنهجية المصطلحية – إلا فالدراسات التي لا تخضع لذلك موجودة –، بحث منشور في شبكة الإنترنت بعنوان (مفهوم الدعوة في القرآن الكريم – دراسة مصطلحية –) للباحث مراد المرابط، تعرض فيه لدراسة تفصيلية للمصطلح، لكنه لم يكن دقيقا في الإحصاء، وأيضا لم يذكر فيه ما توصلت إليه في هذه الدراسة. فاللهم يسر وأعن.

أولا: مفهوم الدعوة بين المعاجم اللغوية والقرآن الكريم

أ. المعاجم اللغوية

من خلال تتبعي لمعاجم اللغة، وجدت أن كل المعاني الواردة للجذر اللغوي (دعو) ومشتقاته، تدل على استمالة الشيء، بغض النظر عن الجهة التي يستمال أو يميل إليها.

قال ابن فارس: (دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاء. والدعوة إلى الطعام بالفتح، والدِّعوة في النسب بالكسر. قال أبو عبيدة: يقال في النسب دِعوة، وفي الطعام دَعوة. هذا أكثر كلام العرب (القزويني، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، صفحة 279/2)

قال ابن منظور: الدِّعوة في النسب، بالكسر: وهو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه فنهى عنه وجعل الولد للفراش. (الإفريقي، ١٤١٤ هـ ، صفحة 261/14)

قال الخليل: الادعاء أن تدعي حقا لك أو لغيرك. تقول ادعى حقا، أو باطلا. قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامري ... لا يدعي القوم أني أفر .

والادعاء في الحرب: الاعتزاء، وهو أن تقول: أنا ابن فلان قال: ونحر في الهيجا الرماح وندعي. (القزويني، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، صفحة 280/2)

قال ابن منظور: والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع. ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة. والنبي صلى الله عليه وسلم، داعي الله

تعالى، وكذلك المؤذن. وفي التهذيب: المؤذن داعي الله، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته. قال الله عز وجل مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن: ﴿ **يُقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ اَللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ اَلِيمٍ** ﴾ . (الإفريقي، ١٤١٤ هـ ، صفحة 259/14)

وهذه المعاني التي نص عليها أئمة اللغة، قد وردت بنفس هذه الاستعمالات في القرآن والسنة، غير أنه توجد معاني أخرى سنبينها في مايلي.

ب. القرآن الكريم

بعد استقراء مواضع مفردة الدعوة ونظائرها في كتاب الله، وجدت أنها تدل على المعاني الآتية:

الرفعة والتنويه: قال تعالى: ﴿ **لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَة في اِلدُّنْيا وَلَا في اِلَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَي اَللَّهِ وَأَنَّ اَلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ اُلنّارِ** ﴾ [غافر: 43]. (الأصفهاني، 1412 هـ، صفحة 315)

الاستعانة: قال تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ في رَيْب مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَاتُواْ بِسُورَة مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اِللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾ [البقرة: 23] يَقُولُ واستعينوا بالآلهة التي تعبدون مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ. (البلخي، 1423 هـ، صفحة 93/1) **النداء:** قال تعالى: ﴿ **لَّا تَدْعُواْ اُلْيَوْمَ ثُبُورا وُحِدا وَادْعُواْ ثُبُورا كَثِيرا** ﴾ [الفرقان: 14]، عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أول من يُكسى حُلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبه ويسحبها من خلفه، وذريته من خلفه، حتى إذا صار إلى شفير النار نادى: يا ثبوراه، وذريته خلفه ينادون: يا ثبورهم فيقال: ﴿**لَّا تَدْعُواْ اُلْيَوْمَ ثُبُورا وُحِدا وَادْعُواْ ثُبُورا كَثِيرا** ﴾ ، (الأصبهاني، 1394هـ - 1974م، صفحة 255/6).

الدعوة إلى الله: قال تعالى: ﴿ **اُدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ اِلْحَسَنَةِ** ﴾ [النحل: 125] أمره أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فالتأنيث للدعوة، كأنه قال: ادع لهم الدعوة التي هي أحسن الدعوة، على إضمار الدعوة. تفسير الماتريدي، (الماتريدي، 1426هـ - 2005م، صفحة 62/7). 1. وذكر الإمام الماتريدي . رحمه الله . أنها بمعنى الإلزام والمناظرة.

السؤال: قال تعالى: ﴿ **قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَة لَّا فَارِض وَلَا بِكْرٌ عَوَانُۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُواْ مَا تُومَرُونَ ۖ** ﴾ [البقرة: 68]، قرأ عبد الله: سل لنا ربك يبين ما هي. (الأندلسي، 1420هـ، صفحة 405/1)

الدعاء: وهذا كثير في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿ **لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰل ۚ** ﴾ [الرعد: 14]، ذكر الماوردي عدة أوجه في تفسيرها، وأشار إلى ترجيح أنها بمعنى الدعاء، لأن السياق يؤيد ذلك فقال: قوله عز وجل {له دعوة الحق} فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أن دعوة الحق لا إله إلا الله ، قاله ابن عباس. الثاني: أنه الله تعالى هو الحق ، فدعاؤه دعوة الحق. الثالث: أن الإخلاص في الدعاء هي دعوة الحق ، قاله بعض المتأخرين. ويحتمل قولاً رابعاً: أن دعوة الحق دعاؤه عند الخوف لأنه لا يدعى فيه إلا إياه ، كما قال تعالى: ﴿ **ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ** ﴾ [الإسراء: 67] هو أشبه بسياق الآية لأنه قال: ﴿ **وَالذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونه** ﴾ يعني الأصنام والأوثان. ﴿ **لاَ يَسْتَجيبُونَ لَهُمْ بشَيْء** ﴾ أي لا يجيبون لهم دعاءً ولا يسمعون لهم نداء. (الماوردي، صفحة 103/3)

قلت: ما عدا القول الأول، فالأقوال الثلاثة الأخرى التي ساقها، تصب في معنى واحد وهو الدعاء.

قلت: هذا المعنى هو أكثرها ورودا في القرآن، وأغلبها أكثر صراحة في الدلالة على معنى الدعاء من هذا المثال، وإنما أوردته للإشارة إلى لطيفة السياق وأثره في تحديد المعنى المراد.

الدعوة للإطعام: قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ** ﴾ [الأحزاب: 53] ، قال مكي بن أبي طالب: أي إذا دعاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته لطعام فادخلوا. (القيرواني، 1429هـ - 2008 م، صفحة 5861/9)

النسبة: قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: 5] قال الإمام الماتريدي: أي انسبوهم إليهم إن علمتموهم. (الماتريدي، 1426هـ - 2005م، صفحة 352/8)

الطلب: قال تعالى: ﴿ مُتَّكِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [ص: 50]، قال ابن كثير: أي مهما طلبوا وجدوا وحضر كما أرادوا. (الدمشقي، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، صفحة 78/7)

القول: قال تعالى: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيداً خَٰمِدِينَ ﴾ [الأنبياء: 15]، يعني قولهم: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 14] يعني: فما زال ذلك قولهم. (البصري، 1425هـ - 2004م، صفحة 302/1)

التمني: قال تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ [يس: 57]، قال الإمام الطبري: يقول: ولهم فيها ما يتَمنُّون. وذُكر عن العرب أنها تقول: دع عليّ ما شئت أي: تمنّ عليّ ما شئت. (الطبري، صفحة 20/ 539) .

هذا ما تهيأ لي جمعه من المعاني المختلفة لهذه المفردة، والملاحظة أن الاستعمال القرآني جاء فضفاضا تناولها بمفاهيم أوسع مما ذكر في المعاجم اللغوية، لكنها لا تعارض الأصل الغوي لهذه المفردة، بل تصب في قالبها.

ج. مفهوم الدعوة في الاصطلاح

ومن خلال تتبع الآيات الخاصة بالاستعمال الشرعي لكلمة (الدعوة) ألا وهو الدعوة إلى الله تعالى، يمكنني أن أعرفها على النحو الآتي: هي بذل الجهد لتعريف الناس بالحق بحسب حالهم قصد هدايتهم إليه، وفق المنهج الشرعي وبالوسائل المتاحة لتحقيق ذلك.

شرح المفهوم:

هذا التعريف لمصطلح الدعوة، يمكن تجزئته إلى ست محاور أساسية، نبينها في ما يلي:

1. **بذل الجهد:** والمقصود به إقامة الحجج الشرعية والعقلية ، أو ما يحتاجه الداعية إلى الله من جهد مادي، كالمال والوقت مثلا.

2. **تعريف الناس بالحق:** وهذا هو جوهر حقيقة الدعوة إلى الله تعالى، التعريف بالحق، وليس الإكراه على اتباعه، والحق هنا لا بد أن يكون بنظرة تكاملية إسلاما وإيمانا وإحسانا.

3. **بحسب حالهم:** فمراعاة حال المدعو من أهم ركائز الدعوة إلى الله، لذلك أعلم النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا معاذا . رضي الله عنه . أنه سيأتي قوما أهل كتاب، فحجج دعوة الكتابي ليست كحجج دعوة المشرك وليست كحجج دعوة الملحد إلى غير ذلك.

4. **قصد هدايتهم إليه:** فلا بد أن تكون نية الداعي هداية المدعو ونجاته، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ **وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ** ﴾ [سورة غافر 41] ، فانظر إليه كيف صرح لهم بقصده الحقيقي من دعوته إياهم، ألا وهو نجاتهم الأبدية.

5. **وفق المنهج الشرعي:** لأن المنهج الشرعي للدعوة إلى معالمه توقيفي، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ **وَدَاعِياً إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ** ﴾ [الأحزاب: 46]، ومن تلك المعالم ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: 125].

6. **الوسائل المتاحة:** وهذا يستوجب عدم التقصير في توفير كل وسيلة قديمة أو حديثة تيسر على الداعي إلى الله القيام بمهمته، ومن ذلك وسائل الإعلام والتواصل الحديثة على اختلافها.

وقد عرف الدكتور الشاهد البوشيخي . جزاه الله خيرا . مصطلح الدعوة تعريفا قال فيه: عملية إخراج الناس بأعيانهم إخراجًا وفق منهاج النبوة من ظلمات واقع بعينه إلى نور الله وشرعه المنزَّل على ذلك الواقع.اهـ (البوشيخي، جمادى الثانية 1429 هـ - 2008 م، صفحة 3.4.5)

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن هذا التعريف لمصطلح الدعوة لي عليه بعض الملاحظات، وهي:
قوله: (عملية إخراج الناس) فيه إعطاء صلاحية للداعي أكثر مما أعطاه الشرع الحنيف، فمهمة الداعي هي العرض والتعريف، أما الإخراج فهو من الله تعالى، وليس هذا من تعريف الشيء بمآله كما ادعى البعض، بل هو كلام يوقع الداعي إلى تجاوز مهمته التي يفترض أن تكون في إطار تسامحي، إلى استعمال القوة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا ما حصل فعلا من بعض الجماعات المتطرفة، لذلك يأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد، ومع ذلك فقد قام بواجبه من دعوة قومه إلى الله.

وقد يعترض معترض فيقول: إنه حدد هذا الإخراج بكونه على منهج النبوة، فأقول: إن الإخراج أصلا غير متعلق بمهمة الدعوة إلى الله، وإنما هو أمر إلهي محض، فيكفي الداعي إلى الله أن يكون قصده هداية الناس، لا أن ينقلهم هو بنفسه من الباطل إلى الحق.

ثانيا: إحصاء شامل لمصطلح الدعة مشتقاته في القرآن الكريم

أ. نتائج الإحصاء

كما هو الحال بالنسبة لأي دراسة مصطلحية، لا بد من إجراء عملية إحصائية شاملة للمصطلح المقصود دراسته بجميع اشتقاقاته، وهذا ما قمت به بفضل الله مع الجذر اللغوي (د – ع – و) وجميع اشتقاقاته، وقمت بتصنيفها حسب مفاهيمها في السياقات المختلفة، فكانت الإحصائيات على النحو الآتي:

بعد إنهاء عملية الإحصاء للجذر اللغوي (د – ع – و) وجميع مشتقاته من القرآن الكريم، وتصنيفها حسب دلالتها التي سيقت لأجلها، فإن النتائج كانت على النحو الآتي:

دلالات الدعاء 96 موضعا

دلالات الدعوة إلى الله 50 موضعا

دلالات النداء والطلب 29 موضعا

دلالات النسب 3 مواضع

ب. قراءة وصفية للإحصاء

فمن خلال هذه الإحصائية، يتبين لنا أن هذا المصطلح وما شاكله من اشتقاقات ترجع لنفس جذره اللغوي، قد حظيت باستعمال كبير في القرآن الكريم، خاصة إذا ما لاحظنا أن "الدعوة" بمفهومها الشرعي، قد وردت في خمسين موضعا، فهذا ما يؤكد أهمية إجراء دراسة اصطلاحية حول هذا المفهوم، والنظر بدقة في سياقاته التي ورد فيها، وهذا ما نعول عليه في هذه الورقات بتوفيق الله.

وبما أن الدراسة تركز على ما ورد بمفهوم الدعوة إلى الله، فإنني تتبعت سياقات الآيات الخاصة بذلك، ولاحظت فروقات دقيقة وجوهرية، أصنفها وفق مايلي:

- ما ورد في سياق دعوة الكفار للإيمان وهو أغلبها، جاء في المواضع الآتية:

البقرة (171 – 221) آل عمران (23 – 104 – 153) الأعراف (193 – 198) يونس (25) هود (62) يوسف (108) الرعد (36) إبراهيم (9 – 10 – 44) النحل (125) الكهف (57) الأنبياء (45) الحج (67) المؤمنون (73) النور (48) النمل (80) القصص (87) الروم (52) الأحزاب (46) غافر (10 - 41 – 43) فصلت (5 – 33) الشورى (13 – 15) محمد (38) الفتح (16) الحديد (8) القلم (43) نوح (5 – 6 – 7 – 8).

- ما ورد في سياق دعوة أهل الكفر والمعصية لأهل الإيمان والتقوى، وهذا المفهوم جاء بدرجة ثانية من حيث العدد، وذلك في المواضع الآتية:

البقرة (221) يوسف (33) إبراهيم (22) النور (51) القصص (41) لقمان (21) فاطر (6) غافر (41 – 42).

- ما ورد إطلاقه في حق المؤمنين ، وهذا أقلها ورودا، فقد جاء في موضعين هما:

الأنفال (24) النور (51).

ومن الجدير بالذكر أن كلا الموضعين لا علاقة لهما بالمفهوم الاصطلاحي والشرعي لمصطلح الدعوة إلى الله، فآية الأنفال تندرج تحت مفهوم النداء، وهي قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ**

﴿ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: 24]، وقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فعن أبي بن كعب قال: كُنْتُ أُصَلِّي في المسْجِدِ، فَدَعانِي رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فقالَ: ألَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: 24]؟ ثُمَّ قالَ لِي: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هي أعْظَمُ السُّوَرِ في القُرْآنِ قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ المسْجِدِ. ثُمَّ أخَذَ بيَدِي، فَلَمَّا أرادَ أنْ يَخْرُجَ، قُلتُ له: ألَمْ تَقُلْ: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هي أعْظَمُ سُورَةٍ في القُرْآنِ؟ قالَ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ هي السَّبْعُ المثانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ. (البخاري، 1414هـ - 1993م، صفحة 4474)

وأما آية النور، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُومِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 51]، فواضح من السباق واللحاق أنها تتحدث عن الدعوة لقبول حكم الله ورسوله بين المؤمنين، فهي تتحدث عن مسائل التحاكم لا عن الدعوة بمفهومها الشرعي، وهذا يكفي في إثبات أن الآيتين الكريمتين لا علاقة لهما بالدعوة من حيث مفهومها الشرعي المقصود بهذه الدراسة.

ويلاحظ من خلال هذا الإحصاء، أن الآية رقم (221) من سورة البقرة، والآية (41) من سورة غافر، قد تكررتا في موضعين متضادين، والسبب في ذلك أن المفردة قد وردت مرتين في نفس السياق، مرة بمفهوم الدعوة إلى الحق، وأخرى بمفهوم الدعوة إلى الباطل، وتوضيح ذلك كمايلي:

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُومِنَّ وَلَأَمَة مُّومِنَةٌ خَيْر مِّن مُّشْرِكَة وَلَوْ اَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُومِنُواْ وَلَعَبْد مُّومِنٌ خَيْر مِّن مُّشْرِك وَلَوْ اَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: 221]، فقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ أضاف الدعوة فيه إلى أهل الباطل من المشركين، أما قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ فأضاف الدعوة فيه إلى الحق سبحانه. وكذلك الأمر بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [غافر: 41]، فالأولى مضافة لأهل الحق، والثانية لأهل الباطل.

ثالثا: مصطلحات مجاورة

جاء في كتاب اله تعالى بعض المفردات التي تؤدي المعنى الذي يدل عليه مصطلح الدعوة، وإن كان ذلك ليس لحد الترادف والتطابق، إلا أنها تتشارك معه بعض دلالاته، ومن ذلك:

البلاغ: لقوله تعالى: ﴿ **فَإِنَ اَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاًۖ اِنْ عَلَيْكَ إِلَّا اَنْلْبَلٰغُۖ** ﴾ [الشورى: 45]

قال ابن فارس: (بلغ) الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء. تقول بلغت المكان، إذا وصلت إليه. (القزويني، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، الصفحات 280/2 – 301/1)

واستنادا إلى هذا الأصل اللغوي لمادة بلغ، يمكننا أن نعرف البلاغ اصطلاحا على أنه: " إيصال الدين عقيدة وشريعة وسلوكا إلى الناس بحسب القدرة والوسائل المتاحة، وفق منهاج النبوة ".

البيان: لقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ اَنْلْكِتٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ اُنْلذِے اِۖخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدي وَرَحْمَة لِّقَوْم يُومِنُونَۖ** ﴾ [النحل: 64]

قال ابن فارس: (بين) الباء والياء والنون أصل واحد، وهو بعد الشيء وانكشافه. (القزويني، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، صفحة 327/1)

ومعناه اصطلاحا: هو الإيضاح لما ورد من نصوص الشرع، والكشف عن مراد الله ورسوله منها.

التذكير: قال تعالى: ﴿ **فَذَكِّرِ اِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌۖ** ﴾ [الغاشية: 21]

قال ابن فارس: الذال والكاف والراء أصلان.. ثم قال: والأصل الآخر: ذكرت الشيء، خلاف نسيته. (القزويني، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، صفحة 358/2)

واصطلاحا: هو تكرار ما سبقت دعوة الناس إليه، قصد الانتفاع به بعدم نسيانه والثبات عليه..

الهداية: قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَيٰ صِرٰط مُّسْتَقِيم** ﴾ [الشورى: 52]

قال ابن فارس: (هدي) الهاء والدال والحرف المعتل أصلان أحدهما التقدم للإرشاد. (القزويني، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، صفحة 42/6)

واصطلاحا: هي إرشاد الناس لمعرفة دين الله عز وجل والالتزام به، عقيدة وشريعة وسلوكا.

الوعظ: قال تعالى: ﴿ **اَنْوْلُٓئِكَ اَنْلذِينَ يَعْلَمُ اُنْللَّهُ مَا في قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلاًۢ بَلِيغاًۖ** ﴾ [النساء: 63]

جاء في مختار الصحاح: (الوعظ) النصح والتذكير بالعواقب وقد (وعظه) من باب وعد و (عظة) أيضا بالكسر (فاتعظ) أي قبل (الموعظة) يقال: السعيد من (وعظ) بغيره والشقي من (اتعظ) به غيره. (الرازي، 1420 هـ - 1999 م، صفحة 342)

والوعظ اصطلاحا: هو تذكير الناس بسبل تحقيق التقوى، مرفوقا بالترغيب والترهيب بحسب الحال.

النصح: قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيَ إِنَ اَرَدتُّ أَنَ اَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اَللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُّغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [هود: 34]

قال ابن منظور: نصح الشيء: خلص. والناصح: الخالص من العسل وغيره. وكل شيء خلص، فقد نصح. (الإفريقي، ١٤١٤ هـ ، صفحة 615/2)

والنصيحة اصطلاحا: هي حيازة الحظ للمنصوح له، قصد تخليصه مما شاب علاقته بالله أو بعباده. اهـ.

قلت: وللأمانة، فإن الشطر الأول من هذا التعريف، هـ جزء من تعريف الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي للنصيحة (الخطابي، 1409 هـ - 1988 م، صفحة 189/1)

الجهاد: لقوله تعالى: ﴿ **فَلَا تُطِعِ اِلْكٰفِرِينَ وَجٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادا كَبِيرا** ﴾ [الفرقان: 52]، وهذا من صور الدعوة إلى الله. والمقصود به جهاد الحجة والبيان ضد من يثيرون الشبهات حول الإسلام لصرف الناس عنه.

وهو في اللغة من جهد، الجَهد والجُهد: وهو بالفتح، المشقة، وقيل: المبالغة والغاية، وبالضم، الوسع والطاقة. (الإفريقي، ١٤١٤ هـ ، صفحة 133/3)

واصطلاحا: هو بذل الوسع في تبليغ دين الله ودفع الشبهات عنه في الأقوال والأعمال والعقائد، ويكون ذلك بإقامة الحجج والبراهين على صدق الرسالة، وفق المنهج الشرعي.

هذا ما تيسر لي جمعه من المصطلحات المجاورة لمصطلح الدعوة، وردت في القرآن الكريم، في سياقات مختلفة، ولها دلالات متفاوتة نوعا ما حسب استعمالاتها، لكنها كلها تصب في معنى التبليغ عن الله تعالى وإرشاد عباده للطريق الموصل إليه، كل بحسب حالهم.

رابعا: الضمائم

ضمائم الإسناد: ﴿ **وَمَنَ اَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَاۤ إِلَى اَللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحا وَقَالَ إِنَّني مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ** ﴾ .. ﴿ **وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَنِ اِفْتَرِيٰ عَلَي اَللَّهِ اِلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعِيٰٓ إِلَي اَلِاسْلَٰمِ وَاللَّهُ لَا يَهْدي اِلْقَوْمَ اَلظَّٰلِمِينَ** ﴾ .. ﴿ **وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَي اَلْهُدِيٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرِيٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾ .. ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَيٰ صِرَٰط مُّسْتَقِيم** ﴾ .. ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَي اَلْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ** ﴾ .. ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّة يَدْعُونَ إِلَي اَلْخَيْرِ وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ اِلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلْمُفْلِحُونَ** ﴾ .. ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَيٰ دَارِ اِلسَّلَٰمِ وَيَهْدي مَنْ يَّشَآءُ اِلَيٰ صِرَٰط مُّسْتَقِيم** ﴾.

ضمائم الوصف: ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الحَقّ** ﴾، على قول من فسرها بالمعنى الاصطلاحي.

ضمائم الإضافة: ﴿ **دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي** ﴾ .. ﴿ **نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُل** ﴾.

نلاحظ من خلال الضمائم التي وردت في سياق مصطلح الدعوة، أن العامل المشترك بينها، هو ورودها كوظيفة يقوم بها المسلم في حق غير المسلم، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنَ اَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَاۤ إِلَى اَللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحا وَقَالَ إِنَّني مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ** ﴾، وحتى في حال صدورها من الشيطان كانت في حق من كفر بالله، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ اَلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ اَلَامْرُ إِنَّ اَللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ اَلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ اَلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيم** ﴾، وهذا يتفق في كل الآيات الواردة، مما يؤكد أنها قضية متعلقة بالكفر من جهة والإيمان من جهة أخرى، لا مجرد عصيان أو انحراف في الفكر يبقي صاحبه ضمن دائرة الإسلام العامة.

خـــــــــاتمة

إن أهم قضية نخلص إليها في هذه الدراسة، هي أن جميع المواطن التي ورد فيها مصطلح "الدعوة" في القرآن الكريم بمفهومها الاصطلاحي الصّرف، إنما وردت في سياق أنها وظيفة يتكفل بها المسلمون تجاه غير المسلمين، وأما المسلمون فقد جاءت في حقهم مصطلحات أخرى مجاورة لها كالتذكير والوعظ وغير ذلك، وهذا قد تم تفصيل القول فيه في مباحث الدراسة الوصفية

للإحصاءات، والمصطلحات المجاورة وكذلك الضمائم، لأن أصل الحق موجود مستقر فيهم، وحتى إذا وقع منهم انحراف، وجب تذكيرهم بالحق مع مراعاة حرمة التوحيد التي تحققت فيهم أصالة، وهذا له دلالات كبيرة، خاصة وأننا نرى في الواقع استعمالا لهذا المصطلح ينصب بشكل كبير في حق المسلمين دون غيرهم، وذلك نشأ من تيارات اشتهرت بعقيدتها التكفيرية وحكمها على المسلمين بالشرك والخروج من الملة، فجرها ذلك إلى العدوان على أهل "لا إله إلا الله" باسم الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله، ولا يبعد أن يكون ذلك بسبب تنزيل النصوص الواردة في حق الكفار على المسلمين، وربما نجد هذا الاستعمال عند غيرها من أصحاب انتماءات معتدلة، ممن تأثر بهذا الاستعمال بغير تحقيق علمي ولا خلفية فكرية.

وقد يكون الأمر بصورة أخطر من السابقة، وذلك بأن يكون هذا الاستعمال نتاج النظرة التكفيرية للمسلمين لا سببا من أسبابها، وفي كلا الحالين لا بد من نهضة تصحيحية لهذا الاستعمال، إذ أن مثل هذه المخالفات لحقيقة الألفاظ واستعمالاتها القرآنية، تجر كثيرا من الأمور السلبية في المجتمع المسلم، لأنها أتت في سياقات لا يمكن بحال تجريدها عن دلالاتها الخطيرة.

خاصة إذا وضعنا في الاعتبار ذلك الأثر الكبير للمصطلحات في ماضي الأمة وحاضر ومستقبلها، وما جنته الكثير من المفاهيم المغلوطة لها من ويلات على أمتنا، لذلك نوصي في نهاية هذا البحث المتواضع بضرورة إعادة النظر في الاستخدام الشائع لهذا المصطلح وغيره من المصطلحات الشائعة على ألسنة الخاصة العامة.

لا أزعم أنني قد أحطت بالموضوع من كل زواياه، ولكن حسبي أنني أثرت نوعا من الفضول العلمي حوله، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو الحسن علي بن محمد الماوردي. *النكت والعيون*. (تـ: السيد ابن عبد المقصود) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
2. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م). *تفسير القرآن العظيم* (المجلد 2). (تـ: سامي بن محمد السلامة) دار طيبة للنشر والتوزيع.

3. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. مكة المكرمة: دار التربية والتراث.
4. أبو حيان محمد بن حيان الأندلسي. (1420هـ). *البحر المحيط في التفسير*. (تـ: صدقي محمد جميل) بيروت: دار الفكر.
5. أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي. (1409 هـ - 1988 م). *أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري* (المجلد 1). (تـ: محمد بن سعد آل سعود) جامعة أم القرى: مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي.
6. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. (1414هـ - 1993م). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه* (المجلد 5). (تـ: مصطفى ديب البغا) دمشق: دار ابن كثير - دار اليمامة.
7. أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني. (1429هـ - 2008 م). *الهداية الى بلوغ النهاية* (المجلد 1). (مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي) الشارقة: جامعة الشارقة.
8. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. (1394هـ - 1974م). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. بجوار محافظة مصر،: مطبعة السعادة.
9. أحمد بن فارس القزويني. (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). *معجم مقاييس اللغة*. (تـ: عبد السلام محمد هارون) دار الفكر.
10. أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري. (1409هـ - 1988 م). (محمد بن سعد آل سعود، المحرر) جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي).
11. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. (1412 هـ،). *المفردات في غريب القرآن* (المجلد 1). (تـ: صفوان عدنان الداودي) دمشق - بيروت: دار القلم، الدار الشامية.
12. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي. (1420 هـ - 1999 م). *مختار الصحاح* (المجلد 5). (تـ: يوسف الشيخ محمد) صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية.
13. محمد أبو منصور الماتريدي. (1426هـ - 2005م). *تأويلات أهل السنة* (المجلد 1). (تـ: مجدي باسلوم) بيروت، ، لبنان: دار الكتب العلمية.
14. محمد بن منظور الأنصاري الإفريقي. (١٤١٤ هـ). *لسان العرب* (المجلد 3). (تـ: اليازجي وجماعة من اللغويين) بيروت: دار صادر.

15.مقاتل بن سليمان البلخي. (1423 هـ). *تفسير مقاتل بن سليمان*. (تـ: عبد الله محمود شحاته) بيروت: دار إحياء التراث.

16.يحي بن سلام البصري. (1425هـ - 2004م). *تفسير يحي بن سلام* (المجلد 1). (تـ: هند شلبي) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

المجلات والجرائد:

17.الشاهد البوشيخي. (جمادى الثانية 1429 هـ - 2008 م). مفهوم الدعوة إلى الله - عز وجل - ومصادرها. *جريدة المحجة، 300*، 3.4.5.